الحياة الاجتماعية في برقة وطرابلس (ق 2 – 5 هجري)

علي محمد سميو(*)

كلية الآداب – جامعة مصراتة

ملخص:

تمثل مظاهر الحياة الاجتماعية المرأة الحقيقية لمعرفة ما يتميز به سكان إقليمي برقة وطرابلس على مختلف أجناسهم وأطوارهم، من بربر وعرب وأفارقة وروم ويهود.

لقد تناول البحث جانب مهم في تاريخ هذه المنطقة، إذ تعد الحياة الاجتماعية مظهراً مهماً من مظاهر الحضارة الإسلامية خلال فترة وجود المسلمين بها، حيث حاولت قدر الإمكان الاعتماد على المصادر التاريخية ذات الصلة بتلك الفترة.

وعلى هذا الأساس كانت بداية البحث تتمحور حول الحديث عن العادات والتقاليد باعتبارها المرآة التي تعكس وتحاكي واقع المجتمع البرقاوي والطرابلسي، إذ اتضح أن أهالي هذه البلاد يتمتعون بحسن العشرة وطيب المعاملة والأدب الرفيع والأخلاق الحميدة، خاصة مع الغرباء، وإن كانت هناك بعض من العادات السلبية لا تمثل إلاّ القلة ذوي أصحاب المكر والخداع خاصة في مجال البيع والشراء.

وفي هذا البحث قدمت الصورة الحقيقية عن شوارع ومساكن هذه البلاد والتي تعكس حياة السكان وإلى أي مدى كانت لهم اهتمامات بجمال وأناقة شوارعهم.

إضافة إلى ذلك كان الحديث عن الملبس وما مدى حب الأهالي في الإقليمين لنظافة ملبسهم والخروج بأجمل مظهر، كما تم الإشارة إلى الأطعمة والأشربة وكيف كان اعتمادهم في ذلك على ما تنتجه أرضهم من مزروعات، وما يستوردونه من خارج البلاد من سلع مختلفة. إضافة إلى ذلك تم الإشارة إلى اهتمامات الأهالي ببناء الأسوار والأبواب والحمامات

* للتواصل مع الباحث: a.smew@art.misuratau.edu.ly

والفنادق، كل هذه البنيات دلالة على حرص الأهالي على تأمين مدنهم وقراهم، كذلك ترحيبهم بالضيف والزوار والتجار، كل ذلك لإعطاء صورة مشرفة لتلك البلاد وما تتمتع به من نظام وحياة رفاهية.

الكلمات المفتاحية: العادات والتقاليد، برقة، طرابلس، الحياة الاجتماعية.

مقدمة:

تعتبر مظاهر الحياة الاجتماعية في أي بلد من بلاد العالم الإسلامي وغيره المرآة الحقيقية لتراث أي أمة، وماضيها الخالد، وقد صوّر المؤرخون الجغرافيون والرحالة ما تمتع به أهالي برقة وطرابلس من مميزات وخصائص في علاقاتهم الاجتماعية من عادات وتقاليد ومعاملات وعلاقات فيما بينهم، تنم على حسن المعاملة والمعاشرة وحسن الخلق والأدب خاصة مع الغرباء، وإن كان في بعضها شيء من السلبية والتحايل، وهو ما نستشفه من خلال العديد من النصوص التي وردت في كتاباتهم المتعددة، كالنص الذي أورده البكري وياقوت الحموي وصاحب كتاب الاستبصار في وصف أخلاق أهالي مدينة سرت ومعاملة تجارهم، وأنها تختلف عن أخلاق ومعاملة أهالي طرابلس، وهو ما أكده صاحب كتاب الاستبصار إذ قال: ".... وهم أحسن الناس معاملة بضد أهل سرت...."[1]. وهذه دلائل على اختلاف في البعض منها.

فمظاهر الحياة الاجتماعية تنوّعت وتعددت وذلك وفق متطلبات الحياة التي تعيشها عناصر السكان في الإقليمين برقة وطرابلس، وهي خاضعة لمتطلبات الظروف والعصر المعايش للأحداث الراهنة لتلك الفترة، والجوانب الاجتماعية مرتبطة إلى حد ما بما هو موجود من مظاهر اقتصادية وثقافية وسياسية فوفق المعايير الموجودة داخل المجتمع البرقاوي والطرابلسي، نحاول محاكاة حياة ذلك المجتمع من واقع حياتهم من مختلف العادات والتقاليد ومأكل ومسكن وملبس ومأوى، ومختلف طرق الحياة اليومية والتي تمثل مرآة وتاريخ ذلك المجتمع، من خلال سرد تلك الأحداث التي تعتبر لصيقة حياة المجتمع في تلك المنطقة.

1- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، تعليق: سعد زغلول، دار آفاق، بغداد، 1986م، ص389.

أولاً: العادات والتقاليد والمعاملات.

لقد تحدث العديد من المؤرخين عن عادات وتقاليد البلاد البرقية والطرابلسية وهو ما أوضح أن المنطقة تتميّز بالعديد من تلك المظاهر الاجتماعية فهذا البكري يقول عن أهالي مدينة زويلة وذكر لهم عادة تدل على ذكاءهم أثناء احتراس بلدهم في الليل بقوله :".....ولأهل زويلة حكمة في احتراس بلدهم، وذلك أن الذي عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد إلى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرائد النخل ينال سعفها الأرض، ثم يدور بها حوالي المدينة، فإذا أصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا بالمدينة، فإن رأوا أثرًا خارجًا من المدينة اتّبعوه حتى يدركوه أينما توجه لصًا كان أو عبدًا أو أمَة أو بعيرًا..."[2]، وفي حديثه عن الطريق التي بين طرابلس وودان ذكر منازل للبربر قريبة من قصر ابن ميمون حيث توجد ربوة عليها صنم، حواليه من قبائل البربر يقرّبون له القرابين يستشفون من أدوائهم ويتبركون به في أموالهم إلى اليوم[3]، وهي من التقاليد الدينية، المتّبعة عند بعض قبائل البربر المستقرة في تلك المنطقة.

ويقول الإدريسي عن أهالي جبل نفوسة: "... وفي أطراف هذا الجبل قوم من البربر يسمّون رهانة، وهم قوم ينتجعون الإبل ويركبون أمضاها وأسرعها خُطاءً، ويسيرون فرقًا إلى ما تباعد منهم من قبائل العرب، فيضربون عليهم ويغيرون على إبلهم ويعودون بغنائمهم إلى جبلهم ومواضع مساكنهم التي يأوون إليها، وليس لهم شغل إلا هذا وليس أحد من العرب المجاورين لهم إلا ويشتكي أذيتهم..."[4]، وهو ما يعطينا دليلاً على أن هؤلاء البربر كانوا يعيشون على السلب والنهب وقطع الطريق، كما يحدثنا الإدريسي عن قبائل من البربر مستقرين في الطريق بين قافز وطلميثة إلى لك، وقال: إنهم متعربين يقال لهم: "... مزاته

2- البكري، أبوعبيد الله عبدالله بن عبدالله البكري، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليونن وأندري تيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 656/2، ونقل عنه النص حرفيًا كل من: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 160/3، القزويني، آثار البلاد، ص94.

3- البكري، المصدر السابق، 660/2، ياقوت الحموي، المصدر السابق، 366/5.

4- الإدريسي، نزهة المشتاق، 299/1.

وزناته وفزارة، وهم يركبون الخيول ويفتعلون الرماح الطوال ويحمون تلك الأرض عن العرب أن تدرس ديارهم ولهم عزة ونخوة وجلادة...."[5]، وهم بذلك على الضد من البربر الذين يعيشون في جبل نفوسة، لا يقطعون طريقاً على أحد ولا يقومون بغارات على من جاورهم، ولكنهم يدافعون عن أراضيهم متى تطلَّب الأمر ذلك.

ومن العادات الغريبة التي ذكرها ياقوت الحموي عن أهالي مدينة مرمى وهم قبائل بربرية اسمهم "بنو قلدين وفزانة" قوله: "... وعندهم غريبة وهي إذا سرق السارق عندهم كتبوا كتاباً يتعارفونه فلا يزال السارق يضطرب في موضعه لا يسكن عنه ذلك ولا يفتر حتى يقر ويرد ما أخذ، ولا يسكن عنه ما به حتى يُمحى ذلك الخط،...."[6].

وإذا تتبعنا الرحالة العبدري وحديثه عن مدن برقة وطرابلس لوجدناه أكثر قسوة من غيره من الرحالة، إذ لم يعجبه شيء مما رأى، فقال عن سكان برقة إنهم من الأعراب، وأن المعاملة معهم صعبة إلى درجة أنه وصفها بالجفاف والخشونة[7]، وعند مروره بإقليم طرابلس تحدث عن بعض العادات والتقاليد التي لم تنل إعجابه وجعلته يصب جام غضبه على أهالي هذه المنطقة، فعند مروره بقريتي زوارة وزواغة وصفهما قائلاً: ".... ومنها –يقصد بعد خروجه من البريّة التي بين قابس وطرابلس– إلى قريتي زوارة وزواغة، ذوي الأنفس الخبيثة والقلوب الرواغة، معتقدات شنيعة وأعمال كسراب بقيعة، ومذاهب سوء ردية، وضمائر شر، إن استنام إليهم حاج لم يوقظه إلا برد ماء التقديس، ودوي أصوات النواقيص أو استأمن إليهم داج لم يرعه إلا تلفيق المعاير عن إساءة رعي الخنازير، لأنهم يبيعونها من النصارى بأبخس الثمن، قطع الله دابرهم..."[8]، ويعطي العبدري صورة عن القريتين أنهما تعجان بالمذاهب المختلفة، كما وجد أيضاً أن العديد من أهاليهما تدين بالمسيحية، وهو ما نلحظه من ذكره للنواقيس، ورعي الخنازير، ويؤيد العبدري في ذلك التجاني إذ ذكر أن أهل

5– المصدر نفسه، 309/1.

6– ياقوت الحموي، معجم البلدان، 10/5.

7– العبدري، الرحلة، ص86.

8– المصدر نفسه، ص76.

زواغة "... لم يزالوا في القديم مشكورين مكرمين للحجاج على الضد من جيرانهم أهل زوارة، ولم يكن يسمع عن أحد منهم بيع مسلم ولا تعرض له بسوء، ولكنهم في هذا الزمان أظهروا تعديهم، ومدوا إلى المراكب البحرية والركائب البرية أيديهم، كأنهم حسدوا أهل زوارة على تميزهم بتلك الفضيلة التي اشتهروا بها..."[9].

ولم يقتصر العبدري على ذم زوارة وزواغة بل وصل به الحد إلى ذم أهالي طرابلس، وهو الأمر الذي يعكس شخصيته الغريبة الأطوار، ولا أدري ما الأسباب التي جعلته يقول عنهم: ".... واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر النفاق والكفر، وتفرقت عنها الفضائل تفرق الحجيج يوم النفر، ... وأهلها سواسية كأسنان الحمار، وليس على ناشئ منهم فضل لذي شيبة ولا لذي الفضل بينهم هيبة..."[10]، ويبدو أن العبدري قد تعرض للإهانة وعدم التقدير والاحترام من شخص ما، مما جعله يشتعل غضباً على المدينة ومن فيها، وفي ذلك يقول: "... وترى أجساماً حاضرة، والعقول في عقل غيابات الغيبة، وملابس يلبسها ليلبس بها من ملابس العيوب العيبة، إلى بخل لو مازج ماء البحر جمد أو خالط هواء سكن في آذار وركد، وخلق يضيق به متسع الفضاء، ونزق يحق له في ذمهم كشف الغطاء، وأذهان أربت في الضيق على الخاتم سواء لديهم من حارب بها ومن سالم، فسبحان من جعلهم وأهل تونس في طرفي نقيض، أولئك في الأوج وأولاء في الحضيض...."[11].

هذا الذم لأهالي طرابلس وضواحيها، إنما تعكسه شخصية العبدري المعقدة الخشنة، لكونه تعرض لموقف ما، جعله يذم من يمر عليه في مدن وقرى الإقليمين، وهو ما لا يجعلنا نحكم على طرابلس وبرقة من خلال ما صوره العبدري، ذلك أننا نجد إثنين من الرحالة الذين مروا بطرابلس خلال نفس الفترة تقريباً يمدحون طرابلس وأهلها وهما ابن رشيد، والتجاني.

9- التجاني، الرحلة، ص211.

10- العبدري، الرحلة، ص77.

11- المصدر نفسه: ص77، ص82-83.

يقول ابن رشيد السبتي أثناء مروره بطرابلس: "... فوافينا مدينة طرابلس، فرأينا بلداً حسناً وناساً فضلاء..."[12]، ويقول التجاني عند دخوله طرابلس: "...وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى والي البلد إذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا بها...."[13] وهو ما يؤكد أن التجاني وجد أهلها من أكثر الناس جوداً، وأحسنهم معاملة، وأنبلهم خلقًا وفضلاً، فعزم على الإقامة بها لمدة طويلة من الزمن[14]، وما من شك أن هذه الفضائل النفيسة والقيم المحمودة من أعرق الصفات الراسخة في نفوس الأهالي، وأبرزها شيوعًا بينهم، وهي أمثل الدوافع التي جعلت هذا الرحالة ينظر إلى مدينة طرابلس الغرب بعناية مخصوصة، ويبدي إعجابه بعمارتها أثناء وصفه لها وحديثه عنها[15].

ويستمر العبدري بمروره في مدن إقليم طرابلس، إلا أن هذه المرة نجده يمدح مدينة مسلاتة وأهلها بقوله:"... قوم يبرون أهل الدين ويكرمون الحاج، وهم على خير وصلاح..."[16]، وهو ما يؤكد أن أهالي هذه المنطقة أكرموه وأعلو من شأنه، ولعل أبلغ دليل على كرم أهالي برقة ما ذكره البلوي لدى وصوله مرسى طبرق، حيث أنشد قائلا:

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق ** أجلى صباحك عن نوى وتفرقٍ
ألفت بين مُفرق ومُجمع ** وجمعت بين مُغربٍ ومُشرقٍ

12- ابن رشيد السبتي، الرحلة، ص 1، نقلاً عن: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، ص116-117.

13- التجاني، الرحلة، ص237.

14- نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1961م، ص300.

15- مفتاح عبد الجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، ص535.

16- العبدري، الرحلة، ص236، كذلك: محمد قزقزان، ليبيا في أدب بعض الرحالة المغاربة، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي (من 20-23 ديسمبر 1995م)، طرابلس، ص550.

ثم قال: وأقمنا به ليلة ننظر تأني الريح، ونعاني من أهل برقة ألم الوجد وعظيم التبريح[17]، ويصف ابن فضل الله العمري بنو سُليم أهالي برقة بالكرم، فيقول: "... ومنهم مزيد بن عزاز، وكان رجلاً جليل القدر جميل الذكر معظماً في الدول، وبنوه زايد وحميد وزيان، وكلهم كرام سراة أماجد..."[18]، ويبدئ ابن بطوطة تخوّفه من الأعراب أثناء مروره بإقليمي برقة وطرابلس بقوله: ".... وتجاوزنا مسلاته وقصور سرت، وهناك أرادت طوائف العرب الإيقاع بنا، ثم صرفتهم القدرة وحالت دون ما راموه من أذيتنا..."[19]، وهو ما يدل على وجود نفر من القبائل العربية يشتغلون كقطاع طرق، وذلك لغرض التهجم على الحجاج وأذيتهم وسلب ونهب ما عندهم من أموال وحاجيات.

ومما يدل على حسن الضيافة والكرم وإغاثة الغريب ما ذكره الإمام ابن العربي في كتابه قانون التأويل عند نزوله على بيوت كعب بني سُليم في برقة، بعد أن كادت سفينتهم أن تغرق، وفي ذلك يقول: ".... وقد سبق في علم الله أن يعظم علينا البحر بنزوله، ويغرقنا في هوله، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل، إلى بيوت كعب بني سُليم، ونحن من الشغب [الجوع]... فعطف أميرهم علينا، فأوينا إليه فأوانا، وأطعمنا الله تعالى على يديه وسقانا، وأكرم مثوانا، وكسانا بأمر حقير ضعيف...."[20].

ويتفق المؤرخون مع ما ذكره الجغرافيون والرحالة في حسن المعاملة والنية الحسنة تجاه الغريب، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في حديثه عن سكان برقة من قبائل بني جعفر بقوله: "... إن الحجاج أثناء مرورهم ببرقة يحمدون مسالمتهم في مرّهم وحسن نيتهم في التجافي عن جامع بيت الله وإرفادهم بجلب الأقوات لسربهم وحسن الظن بهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره..."[21].

17- البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، 66/2.

18- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار (2001) 214/4.

19- ابن بطوطة، الرحلة، ص36.

20- المقري، أزهار الرياض، 89/3، كذلك: المقري، نفح الطيب، 238/3.

21- ابن خلدون، العبر، 87/6.

ثانياً: المساكن والشوارع.

تمثل الشوارع والمساكن الصورة الحقيقية التي تعطي الجمال والأناقة لأي مدينة أو قرية، وباستقرار الناس في مكان ما تظهر إبداعاتهم في البناء والتشييد الذي من خلاله تظهر الملامح الحقيقية لمعالم حضارتهم وتطورهم، وإلى أي مدى وصل التقدم والتحضر عندهم.

وقد تحدث البعض من الجغرافيين والرحالة الذين مروا ببرقة وطرابلس عن عماراتها، وجمال مبانيها واتساع شوارعها، فيقول ابن حوقل عن مدينة أجدابية وعن المواد التي استخدمت في بناء دورها ومنازلها: ".... وبناؤها بالطين والأجرّ وبعضها بالحجارة"[22]، كما وصف مدينة سرت بأن: "...عليها سورا مبنياً من الطين"[23]، وهو ما يؤكده المقديسي بقوله: "... وأجدابية عامرة، بنيانهم حجارة على البحر...."[24]، ويأتي بعدهم البكري ليؤكد أن بناء المسكن كان يتم بالطوب والحجارة، حيث يمدنا بنص بالغ الأهمية عن أسلوب التغطية في بيوت مدينة أجدابية بما نصه: ".... وليس لمباني مدينة أجدابية سقوف خشب إنما هي إقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها..."[25]، وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه استخدام عنصر القباب في التغطية في العمائر خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وربما قبل ذلك حسب رواية البكري، كما تكمن أهمية النص أيضاً في أن هذا الأسلوب في التغطية جاء نتيجة مؤثرات بيئية تمثلت في العامل المناخي السائد في إقليم برقة آنذاك، وقول الرحالة أن ليس لمبانيها سقوف خشب، أن رأوا في مناطق أخرى أقل رياحاً من أجدابيا بها مبانٍ سقوفها من الخشب رغم عدم وجود نص صريح بذلك.

ويبدو أن هذا الأسلوب من البناء قد ظل مستعملاً إلى ما بعد القرن الخامس الهجري، حيث ذكر كل من صاحب كتاب الاستبصار، وياقوت الحموي، والحميري، عند حديثهم عن

22- ابن حوقل، صورة الأرض، ص70.

23- المصدر نفسه: ص70.

24- المقديسي، أحسن التقاسيم، ص224.

25- البكري، المسالك والممالك، 650/2.

مدينة إجدابيه قولهم: ".... وليس لمبانيها سقوف خشب، إنما هي قباء من الطوب لكثرة الرياح بها...."[26].

ويشير الجغرافيون والرحالة إلى أن مناطق الواحات والبادية البعيدة نسبياً عن ساحل البحر والمؤثرات المناخية الساحلية، قد بنوا مساكنهم من القياطين والخيام وبيوت الشعر، وهو ما يوضحه البكري أثناء حديثه عن الطريق من اطرابلس إلى ودان ماراً ببلدة هوارة نحو الجنوب[27]، ويقول التجاني في حديثه عن برقة وجدبها بأنه شاهد ركباً قادماً منها ذكروا له: "... أنهم كانوا يمرون في كثير من أرضها بالأحياء والخيام فيها مضروبة، ...."[28]، ويقول أيضاً التجاني عند حديثه عن قرية زنزور بأن "... مساكنها دور مبنية،..."[29].

أما الشوارع فتختلف من مدينة إلى أخرى بحسب حجمها واتساعها، وليس هناك أبلغ من نص الرحالة ابن رشيد السبتي في حديثه عن مدينة طرابلس في وصف شوارعها ومبانيها إذ قال: "...وبها مدينة حسنة الوضع رائعة الصنع، والمدينة بجملتها حسنة البناء متسعة الشوارع، حتى كأنها تحاكي شيئًا ما من وضع الإسكندرية...."[30]، كما حظيت طرابلس باهتمام كبير من التجاني، لما تمتاز به من استقامة واتساع ونظافة، وفي ذلك يقول: "...ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة ولا أحسن اتساعاً واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها...."[31].

26- مجهول، كتاب الاستبصار، ص144، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1، الحميري، الروض المعطار، ص12.

27- البكري، المسالك والممالك، 660/2، كذلك: ياقوت الحموي، المصدر السابق، 365/5-366.

28- التجاني، الرحلة، ص191.

29- المصدر نفسه: ص214-215.

30- ابن رشيد السبتي، الرحلة، ص1، نقلاً عن: محمد يوسف نجم، إحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، ص116-117.

31- التجاني، الرحلة، ص237.

ويتفق المؤرخون مع الجغرافيين والرحالة في أن غالبية المباني في برقة وطرابلس –خاصة القريبة من البحر– كانت مبنية من الصخر والحجارة، ويقول القلقشندي في حديثه عن طرابلس: ".... وبناؤها بالصخر، وهي واسعة الكورة..."[32]، كما يقول المقريزي في الحديث عن شوارعها بأنها "... حسنة الشوارع..."[33].

ومما سبق نستخلص أن المباني السكنية في إقليمي برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين، خاصة منها القريبة من ساحل البحر، وخيام وبيوت شعر وقياطين في مناطق جنوب الواحات، والتي عادة ما يكون سكانها يعتمدون في حياتهم ومعاشهم على تربية الحيوانات والرعي.

ثالثًا: الملابس.

تتفق غالبية القبائل العربية في لباسها والاهتمام بنظافة مظهرها، وحب التزّين، ومع أن الجغرافيين والرحالة لم يشيروا بشكل واضح إلى الملابس التي من عادة أهالي برقة وطرابلس ارتداؤها، إلا أنني أجد ابن حوقل يشير إلى اهتمام أهالي طرابلس بملابسهم ونظافتها، وفي ذلك يقول: "... كان أهالي طرابلس يهتمون... بنظافة الأغراض والثياب والأحوال، ومتميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصور،...."[34]، وهو ما يعني الاهتمام بمظهرهم وأناقتهم، ويقول البكري في حديثه عن زويلة: ".... ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية أفريقية هنالك ومبايعتهم بثياب قصار حمر...."[35]، وهو ما أكده ياقوت الحموي[36]، وهو ما يوحي أن أهالي هذه المنطقة كانوا يلبسون هذه الثياب القصيرة ذات اللون الأحمر، وفي نفس الوقت كانوا يستبدلونها أثناء المتاجرة بالرقيق.

32– القلقشندي، صبح الأعشى، 100/5.

33– المقريزي، جني الأزهار، ص73.

34– ابن حوقل، صورة الأرض، ص72.

35– البكري، المسالك والممالك، 658/2.

36– ياقوت الحموي، معجم البلدان، 160/3.

ويقدم العبدري وصفًا دقيقًا عن لباس المرأة في مدينة برقة بقوله:"... ومن العجب عندهم أن كل امرأة لابد لها من خرقة تسدلها على وجهها، ويسمونها البرقع، وهي تتخلل الناس مكشوفة الرأس والأطراف حافية القدمين لا تهتم بستر ما سوى وجهها كأن ليس لها عورة سواه، فلا تزال تلك الخرقة عرضة للاتساخ، ومرصداً لعارض الأوساخ، لا تصان فتماط عن ذقن، ولا تنزع فتماص[37]، من درن حتى تصير أوسخ من عرض اللئيم وأقبح من وجه الشيطان الرجيم فتفاجئ العيون من ذلك بأشوه منظر يرى، وتسمع الآذان من وصفها أقبح حديث جرى..."[38].

أما المؤرخون فلم أجد ذكراً للألبسة والثياب عندهم، إلا ما ذكره المقريزي في حديثه عن برقة بقوله: ".... وثياب أهلها حمر دائماً،..."[39]، وهو راجع –حسب اعتقادي– إلى تأثير البيئة التي يعيشون فيها فهي تتميز بحمرة التربة عندهم، مما جعل ثيابهم معرضة للاتساخ بها، وهو ما جعلهم يرتدون الملابس ذات اللون الأحمر، ذلك لأن هذا اللون لا يظهر فيه ما قد يعلق به من تراب.

رابعًا: الاطعمة والأشربة.

توضح المصادر على أن سكان برقة وطرابلس كانوا يعتمدون في طعامهم وشرابهم على ما تنتجه أرضهم من مزروعات وما يستوردونه من خارج بلادهم من سلع مختلفة، وقد أعطينا سابقًا تفصيلاً بذلك من خلال الحديث عن الموارد الاقتصادية في الإقليمين.

يقول البكري عن أهالي سرت: "... وذبائحهم المعز ولحماتها عذبة طيبة لا يؤكل بطريق مصر أطيب من لحومها...."[40]، كما حدثنا عن مدن ودان، وغدامس، وتاجرفت، وزله،

37– ماص الثوب: يموصه، أي غسله غسلاً لينا رقيقًا.

38– العبدري، الرحلة، ص86.

39– المقريزي، جني الأزهار، ص74.

40– البكري، المسالك والممالك، 651/2، كذلك: كتاب الاستبصار، ص109، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 206/3–207.

وأوجلة، بأن أكثر معيشة أهاليها على التمر[41]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار إن "...قبيلة سُليم المنقطعين في صحراء طرابلس يجمعون تمر هذه المواضع، ومنها يتعيشون، وإليها يلجأون عند المطلبة لهم..."[42]، ويقول الإدريسي عن أرض فزان والواحات الجنوبية في إقليم طرابلس بأن: "... عندهم نخيلات ويزرعون الذرة والشعير، ...."[43]، كما تحدث عن لبدة بقوله: ".... وللبدة نخل كثير وزيتون يستخرجون زيته في وقته..."[44]، وذكر سويقة ابن مثكود بأن أهلها: ".... يحرثون الشعير على السقي والعرب يخزنون بها طعامهم،..."[45]، وهو ما يؤكد أن سكان إقليم طرابلس يعتمدون بشكل كبير في طعامهم على الزيتون والنخيل والشعير الذي يصنعون منه الخبز، كما اعتمد سكان برقة في طعامهم على الفواكه المتنوعة، يقول ياقوت الحموي: "...وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات واسعة مثل جوز ولوز،...."[46]، وحدثنا العبدري عن أهالي برقة، حيث قال إنهم يقومون ببيع لحم الظبي المقدد، وهو ما يوحي بوجود الظبي في المنطقة بكثرة، حيث تقوم الناس باصطياده ثم شويه، وتقديمه كوجبات للمارين من الحجاج إلى بيت الله الحرام[47]، وأشار أيضاً التجاني إلى وجود الظباء في إقليم طرابلس، وتحديداً في مدينة زوارة وقال: "... بأن لأهلها دربة في صيدها...."[48].

41- البكري، المصدر السابق، 658/2، 881، كذلك: كتاب الاستبصار، ص146-147، ياقوت الحموي، المصدر السابق، 366/5، الحميري، الروض المعطار، ص427.

42- مجهول، كتاب الاستبصار، ص150.

43- الإدريسي، نزهة المشتاق، 112/1.

44- المصدر نفسه: 308/1.

45- المصدر نفسه: 309/1.

46- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 289/1، كذلك: الحميري، الروض المعطار، ص91.

47- العبدري، الرحلة، ص89.

48- التجاني، الرحلة، ص210.

ويعتمد أهالي طرابلس ونواحيها في طعامهم على الفواكه والخضروات، وهو ما أكده التجاني عند مروره بقرية زنزور بقوله: ".... ورأيت غابة متسعة الأقطار أكثر شجرها الزيتون، وبها مع ذلك... نخل كثير ورطبه متناهي الطيب، وبها أيضاً شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير...."[49]، ويصفها ابن سعيد بأنها: "... تمتاز بأنواع من الخيرات حتى الخضر والفواكه، وفيه الزيتون والزيت والزبيب والتمر..."[50]، ويقول الحميري في حديثه عن جبل نفوسة: ".... وفيه كروم وأعناب وتين، وأكثر زرعهم الشعير المتناهي طيباً، ولأهله في خبزه صنعة وحذق، وتميز فاقوا فيه كل الناس، ويكون أطيب من سائر الطعام في سائر الأقاليم..."[51].

وفيما يتعلق بمصادر العيش وموارد الرزق في مدينة طرابلس قال التجاني: ".... واعتاد كل واحد من الناس في طعامه وما يدخره من قوت عامه إنما هو على ما يجلب إليها في البحر..."[52]، وفي هذا الجانب يشير إلى عادة أهل البلد فيما يتعلق بكسب القوت ومطلب الرزق، فيقول: "... ومن عاداتهم أن لا يتركوا أحداً يُخرِج شيئًا مما حصل ببلدهم من الطعام إلى خارجه، ويعاقبون على إخراجه...."[53]، ثم يؤكد أن البلد ليست بلد حراثه، ولكنها تعتمد على البحر في جميع منافعها على الرغم من أن أرضها خصبة لا مثيل لها في إصابة الزرع...."[54].

ولا يختلف المؤرخون عن الجغرافيين والرحالة في اعتماد أهالي برقة وطرابلس على اقتصاديات بلادهم وما يأتي من خارجها، وفي ذلك يقول الدمشقي عن سكان غدامس:

49- المصدر نفسه: ص214-215.

50- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص145-146، كذلك: ابن سعيد، بسط الأرض، ص79-80.

51- الحميري، الروض المعطار، ص578.

52- التجاني، الرحلة، ص258.

53- المصدر نفسه: ص258.

54- المصدر السابق، ص258-259.

"...وأموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن..."[55]، ويقول البغدادي في حديثه عن مدينة شروس: "...بأنها تقع في وسط جبل نفوسة... وبها خبز شعير ألذ من كل طعام...."[56].

خامساً: الأسوار والأبواب.

من مظاهر حياة المجتمع في برقة وطرابلس هو بناء الأسوار والأبواب، وذلك للدفاع عن أنفسهم، فكلما كانت الأسوار والتحصينات قوية ومرتفعة استطاع أهلها العيش في أمن وسلام.

وكتابات المصادر التاريخية عن مدن إقليمي برقة وطرابلس لا تخلو من الإشارات التي تدل على وجود الأسوار المنيعة عليها، والتي عادة ما تكون لها أبواب في نواحي متفرقة. ويقول اليعقوبي في مجمل حديثه عن مدينة برقة: "... وعليها سور وأبواب حديد وخندق، أمر ببناء السور المتوكل على الله[57]،...."[58]، وهو ما يدل على أن بناء هذا السور قد تم زمن الدولة العباسية، بيد أن لم أجد ذكراً لهذا السور عند الجغرافيين والرحالة فترة الدراسة، مما يدل على اندثاره أو انهياره قبل حلول القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويقول ابن حوقل في حديثه عن مدينة سرت: ".... بأنها ذات سور منيع من طين وطابية...."[59]، وقد حدثنا عنه البكري بقوله: ".... وعليها سور طوب، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي وباب صغير إلى البحر، ...."[60]، وهو ما يؤكده كل من الإدريسي وياقوت

55- الدمشقي، نخبة الدهر، ص246.

56- البغدادي، مراصد الاطلاع، 1382/3.

57- المتوكل على الله: تولى الخلافة بعد أخيه المعتصم سنة 232هـ/847م كان في عهده الأتراك مسيطرين على الوضع، حاول أن يحد من نفوذهم، ولكنهم فتكوا به ليلاً قبل أن يتمكن منهم وكان ذلك سنة 247هـ/861م ومنذ ذلك الوقت سيطر الأتراك على الدولة وأصبحت في أيديهم = أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص124.

58- اليعقوبي، فتوح البلدان، ص181، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص343.

59- ابن حوقل، صورة الأرض، ص70، أبوالفدا، تقويم البلدان، ص149.

60- البكري، المسالك والممالك، 651/2.

الحموي[61]، حيث ذكر الإدريسي بأن سرت: ".... عليها سور تراب...."[62]، كما يحدثنا عن مدينة أجدابية بقوله: "...مدينة في صحصاح من حجر مستو كان لها سور فيما سلف..."، ويبدو أن الإدريسي قد شاهد بقايا هذا السور لقوله: "... وأما الآن فلم يبق منها إلا قصران في الصحراء...."[63]، ويصف ابن سعيد مدينة طبرق بقوله: ".... وبقايا أسوار هذه المدينة تدل على قدمها،..."[64]، وهو ما يدل على أن هذه الأسوار قد تم بناؤها قبل دخول المسلمين لبرقة.

ويعتبر سور طرابلس محط أنظار جميع الجغرافيين والرحالة الذين مروا بها، حيث لقي من الوصف ما لم يلقه أي معْلم آخر من معالم المدينة، فذكره المقديسي بقوله: ".... وطرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة وجبل، لها باب البحر وباب الشرق وباب الجوف وباب الغرب...."[65]، ويقول البكري في وصفه لسور طرابلس: ".... وعلى مدينة طرابلس سور صخر جليل البنيان، ....، إنما بنى سور مدينة أطرابلس مما يلي البحر هرثمة ابن أعين[66]، حين ولايته القيروان،...."[67]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عن سور

61- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 206/3.

62- الإدريسي، نزهة المشتاق، 298/1، كذلك: الحميري، الروض المعطار، ص312.

63- الإدريسي، المصدر السابق، 311/1.

64- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص147، كذلك: ابن سعيد، بسط الأرض، ص81.

65- المقديسي، أحسن التقاسيم، ص224.

66- هرثمة ابن أعين: ولاه هارون الرشيد على إفريقية سنة 189هـ، وقدم إليها في يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من نفس السنة، وولى هرثمة على طرابلس الوالي سفيان بن أبي المهاجر، وفي أيامه آمنت الناس واستراحت من الثورات، ولكن البربر أشعلوها من جديد، مما جعله يستقيل سنة 181هـ وسجنه المأمون لاتهامه بممالأته لإبراهيم بن المهدي ومات في السجن 200هـ = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص152.

67- البكري، المسالك والممالك، 655/2، ونقل عنه: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 25/4.

طرابلس: "....والبحر يضرب في سورها من حجر جليل من صنعة الأولين...."[68]، وأشار أيضاً القزويني إلى هذا السور بقوله: ".... ولها سور منحوت من الصخر...."[69].

ويعطي التجاني وصفاً دقيقاً للسور وأبوابه، حيث شاهده ووقف عليه أثناء ترميم وتجديد الأهالي له، فقال: ".... ورأيت بسورها من الاعتناء واحتفال البناء ما لم أره لمدينة سواها، وسبب ذلك أن لأهلها حظاً من مجباها، يصرفونه في رم سورها وما تحتاج إليه من مهم أمورها، فهم لا يزالون أبداً يجددون البناء فيه ويتداركون تلاشيه بتلافيه، ورأيتهم قد شرعوا في حفر خندق متسع يرومون أن يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد، وابتداء حفره من الركن الذي بين القبلة والشرق، وعارضهم في حفره هنالك موضع يعرفونه "بالرملة" وهو حقف رمل متسع لاصق الى جانب السور ولا يزالون أبداً يتكلفون نقله من ذلك الموضع، فإذا اجتهدوا جهدهم في حمله ورميه في البحر أعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره، واختصاص ذلك الموضع بذلك الكثيب من الرمل من أعجب الأشياء...."[70].

ويختلف الباحثون في تاريخ بناء السور، فبعضهم يرجعه إلى الفترة اللاحقة للقرن الثاني الميلادي[71]، وذكر البعض أن مدينة طرابلس ظلت مدينة صغيرة حتى تولى قيصر الروم أسفاروس الحكم، فأمر بإحاطة المدينة بسور من جميع الاتجاهات ما عدا البحر الشمالي الشرقي[72]، وفي العهد البيزنطي نال سور طرابلس شيئاً من الإصلاح، وظل قائماً حتى الفتح الإسلامي[73]، حيث قام عمرو بن العاص بهدم السور[74]، وفي ذلك يقول التجاني: ".... واحتوى عمرو بن العاص على المدينة فهدم سورها وارتحل عنها، ثم جدد بناء سورها

68- مجهول، كتاب الاستبصار، ص110.

69- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص408.

70- التجاني، الرحلة، ص238.

71- مجموعة من الباحثين، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، ص204.

72- الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص23-25.

73- فاتن البنا، محافظة طرابلس، ص36.

74- نجم الدين غالب، طرابلس عبر التاريخ، ص70.

من جهة البر على يد عبد الرحمن بن حبيب[75] المتغلب على أفريقية في آخر دولة بني أمية سنة اثنين وثلاثين ومائة، وتأخر بناؤه من جهة البحر إلى ولاية هرثمة بن أعين على أفريقية من قبل هارون سنة ثمانين ومائة، فهو الذي ابتناه على يد ثقته زكريا بن قادم[76]، ثم زاد في إتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معًا أبو الفتح زيان الصقلي[77] متولي طرابلس عام خمسين وأربعين وثلاثمائة...."[78].

ويذكر التجاني أنه كان يحيط بهذا السور في زمنه: ".... فيصل آخر أقصر منه على العادة في ذلك يسمونه "الستارة"، ولم يكن في القديم وإنما أمر ببنيانه الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص أيام وصوله الى طرابلس في شهر شعبان من سنة أربع عشرة وستمائة –رأيت هذا مكتوباً على باب من أبواب الستارة يعرف بباب عبد الله– ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وإنما انتهوا بها إلى الباب الأخضر وبينه وبين البحر فسحة، فأتمت بالبناء أيام مقامنا بطرابلس، ... ويقابل باب الستارة المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة، نسبة إلى من نزل به في أول الزمان...."[79].

75– هو عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع، كان من أنصار كلثوم، ومن المنهزمين في معاركه مع عكاشة الى الأندلس سنة 123هـ، وهو أول متغلب على إفريقية، واستقل بها أيام حكمه عن بني أمية وخلع طاعة أبي جعفر المنصور = الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح، ص128.

76– هو أحد خواص هرثمة، كلفه بالإشراف على بناء سور طرابلس= المصدر نفسه، ص152.

77– كنيته أبو الفتوح، ولاه إسماعيل المنصور عاملاً على طرابلس، وقام بأعباء الحكم فيها، وعنى بإصلاح سور المدينة، وزاد في جميع جهاته البرية والبحرية في أيام المعز الفاطمي سنة 345 = المصدر السابق، ص191.

78– التجاني، الرحلة، ص239–240، كذلك: الحشائشي، الرحلة، ص33، ابن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، نقلاً عن على فهمي خشيم، الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار الفكر، طرابلس، 1974م، ص17، عل الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1993م، ص186.

79– التجاني، الرحلة، ص240، 245.

هذه العناية التي نوه إليها التجاني توضح المدى الذي وصلت إليه استحكامات طرابلس الدفاعية التي استوفت متمماتها الأساسية بسورها العظيم الذي يحيط بها، فهو طوقها الأمني من ناحيتي البحر والبر على مرِّ الزمن، على أن هذا السور المحيط بالمدينة من جهاتها المختلفة خماسيّ الأضلاع، وبه أبواب مخصصة لدخول السكان والغرباء وخروجهم، ذكرها التجاني بأسماء مختلفة: باب الستارة، باب هوارة (باب عبد الله)، الباب الأخضر، باب البحر، باب البر[80].

وقد وردت العديد من النصوص في كتابات المؤرخين تؤيد ما ذهب إليه الجغرافيون والرحالة من وجود عديد من الأسوار حول مدينة برقة وطرابلس، وفي ذلك يقول الدمشقي: ".... أما برقة فبنى سورها المتوكل...."[81]، ويتفق أيضاً المؤرخون مع الجغرافيين في أن هرثمة بن أعين هو الذي بنى سور طرابلس مما يلي البحر[82]، وهو ما يؤكد أن بناء السور من ناحية البحر تأخر إلى هذه الفترة.

ومما سبق نستخلص أن الأسوار في إقليمي برقة وطرابلس ارتبط بناؤها بالمدن الكبيرة حيث مركز السلطة، وغالباً ما تكون لها أبواب عليها حراسات مشددة، وما هي إلا استكمالات للتحصينات الداخلية والساحلية التي بنوها أو جددوها من حصون وقلاع ومحارس، حيث تجتمع في نهاية المطاف نحو هدف واحد وهو حماية البلاد من أي اعتداء داخلي أو خارجي مرتقب، حيث كانت المنطقة خلال هذه الفترة مصدراً للعديد من القلاقل والثورات والانتفاضات.

80- مفتاح محمد عبد الجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، ص537، كذلك: سالم سالم شلابي، عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1994م، ص149.

81- الدمشقي، نخبة الدهر، ص234.

82- ابن الأثير، الكامل، 96/6، النويري، نهاية الأرب، ص95-96، ابن عذاري، البيان المغرب، 89/1، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص 296، ابن خلدون، العبر، 195/4، 197، ابن أبي دينار، المؤنس، ص46.

سادساً: الحمامات والفنادق.

من مظاهر حياة المجتمع في مدن برقة وطرابلس وما شد انتباه الجغرافيين والرحالة الحمامات والفنادق، وهي عادة لا تخلو مدينة كبيرة منها.

ولو نظرنا الى الموقع الذي يتميز به إقليمي برقة وطرابلس، إذ يمثل حلقة وصل بين المغربيين والمشرقيين سواء تجاراً أو حجاجاً أو عابرين سبيل من ناحية، ومحطات للاستراحة والمتاجرة من ناحية أخرى، وهو ما جعل أهالي هذه المدن يهتمون بإنشاء الحمامات والفنادق، وقد ذكر الجغرافيون والرحالة أثناء حديثهم عن مدينتي برقة وطرابلس وجود الكثير منها، ففي حديث البكري عن مدينة سرت قال: "إن بها حماماً،...." وذكر أجدابية بقوله: ".... ولها حمامات وفنادق كثيرة...."[83]، ويقول عن مدينة طرابلس بأن بها: "حمامات كثيرة فاضلة..."[84]، وذكر الحميري أنها كثيرة[85]، ويقول صاحب كتاب الاستبصار عن أجدابية: "... وبها حمامات وفنادق كثيرة...."[86]، وهو ما أكده ياقوت الحموي في معجمه عند حديثه عن مدينة أجدابية وسرت[87].

ويطالعنا ابن سعيد بنص عن مدينة طرابلس يوحي بتميزها عن بقية المدن المجاورة لها في برقة وطرابلس بكثرة حماماتها، وذلك قوله: "..... وعلى الجملة فإذا فارقت طرابلس لا تلقى مدينة فيها حمام إلى أن تصل إلى الإسكندرية...."[88]، وقد أشار التجاني إلى جملة من الحمامات التي شاهدها في طرابلس أثناء إقامته فيها بقوله: ".... ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حماماً صغير المساحة، إلا أنه قد بلغ من الحسن غايته، وتجاوز من

83- البكري، المسالك والممالك، 651/2.

84- المصدر نفسه: 655/2.

85- الحميري، الروض المعطار، ص389.

86- الاستبصار، ص144، كذلك: الحميري، المصدر السابق، ص12.

87- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1، 206/3، كذلك الحميري، المصدر السابق، ص12.

88- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص146، ابن سعيد، بسط الأرض، ص80، ونقل هذا النص حرفياً أبوالفدا، تقويم البلدان، ص147.

الظرف نهايته، وكان هذا الحمام من منافع القصبة فبيع من جملة ما بيع منها، وهو الآن محبس على بعض المساجد، وبالبلد حمامان آخران غير أنهما في الحسن دونه..."[89].

ويختلف المؤرخون عن الجغرافيين والرحالة حيث لم يشيروا إلى وجود الحمامات والفنادق في هذه المنطقة إلا ما ذكره القلقشندي عن أطرابلس، إذ نقل ما ذكره أبو الفدا عن طرابلس وذلك قوله: "... قال في تقويم البلدان: وهي آخر المدن التي في شرق القيروان، وإذا فارقها المسافر مشرقًا لا يجد مدينة فيها حمام حتى يصل الإسكندرية..."[90]، وهو موافق لما ذكره ابن سعيد[91]، ولكنه مخالف لما ذكره كل من صاحب كتاب الاستبصار والبكري وياقوت الحموي، حيث تحدثوا عن وجود حمامات في مدن سرت وإجدابيا[92]، وأرى –حسب اعتقادي– أن نص ابن سعيد وأبو الفدا –وهو قولهما–: "... لا تلقى مدينة فيها حمام إلى أن تصل الإسكندرية..." إنما قصدهم عدم وجود حمامات بحجم وجمال حمامات طرابلس وكثرتها أيضًا.

ومن النصوص السابقة يظهر بوضوح أن مدينة طرابلس وأجدابية وسرت هي المدن التي تمركزت فيها الحمامات والفنادق، ومرجعية ذلك –حسب اعتقادي– إلى كون هذه المدن كانت تمثل مراكز للتجارة، كما أنها تعد محطات وملتقى لطرق القوافل التجارية البرية ومراسي للتجارة البحرية في تلك الفترة، ومع هذا لا نستطيع أن نجزم بعدم وجود الحمامات والفنادق في مدن وقرى غير هذه، خاصة التي توجد فيها الأسواق من ناحية أو ممر لطرق التجارة

89– التجاني، الرحلة، ص237.

90– القلقشندي، صبح الأعشى، 100/5، كذلك: أبوالفدا، تقويم البلدان، ص147.

91– ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص146، بسط الأرض، ص80.

92– مجهول، كتاب الاستبصار، ص144.

– البكري، المسالك والممالك، 651/2.

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/1، 206/3.

– الحميري، الروض المعطار، ص12.

والحج من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يتطلّبه الغرباء للاستراحة والأمان على أنفسهم وأموالهم من اللصوص وقطاع الطرق.

الخاتمة:

وخلاصة البحث توصلت الي العديد من النتائج أهمها:

1- من خلال حديثنا عن العادات والتقاليد ظهر واضحاً من خلال نصوص العديد من المصادر أن أهالي وسكان برقة وطرابلس تميّزوا بالعديد من العادات والتقاليد الحسنة والقبيحة، وأن كانت في الغالب تنم عن الطيبة والخلق الحسن.

2- أوضح البحث أن المباني السكنية في مدن برقة وطرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين خاصة منها القريبة من ساحل البحر، أما في الجنوب في الواحات الداخلية فكانت عبارة عن خيام وقياطين وبيوت شعر في غالبها، وهو راجع إلى الظروف المناخية التي تتمتع بها كل منطقة على حدة.

3- أبرز البحث أن المنطقة كان بها كثير من الحمامات والفنادق وذلك لغرض الاستراحة والراحة، وهي ظاهرة موجودة بكثرة خاصة في مراكز ومدن التجارة والأسواق كطرابلس وسرت وإجدابيا وغيرها من المدن التجارية.

المصـــادر والمراجـع

أولاً: المصادر المخطوطة.

1- ابن رشيد السبتي (أبوعبدالله بن عمر الفهري ت: 721هـ=1321م)، رحلة ابن رشـيد السبتي المسماة ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكـة وطيبـة، مخطوط الأسكوريا ل تحت رقم 1736.

2- ابن ناصر الدرعي، ابن العباس احمد بـن محمـد ت: 1128هـ=1916م)، الرحلـة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم 10030. ومخطوط بدار الكتـب المصرية، القاهرة، تحت رقم 818، جغرافيا.

ثانياً: المصادر المطبوعة.

1- ابن الابار (أبوعبدالله محمد بن عبدالله القضاعي ت: 658هـ=1259م)، الحلة السـيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م.

2- ابن الأثير (محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد ت: 630هـ=1232م)، الكامـل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1980م.

3- الأدريسي (أبوعبدالله محمد بن محمد الشريف ت: 560هـ=1166هـ)، نزهة المشـتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1989م.

4- ابن إياس الحنفي (محمد بن أحمد الحموي ت: 930هـ=1524م)، بدائع الزهور في وقائع العصور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج3.

5- ابن بطوطة (أبوعبدالله محمد بن إبراهيم ت: 779هـ=1377م)، رحلـة ابـن بطوطـة المسماة تحفة النظار في غرائب التاريخ والأمصار، شرح: طـلال حـرب، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط 1، 1987م.

6- البغدادي (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ت: 739هـ=1338م)، مراصد الاطـلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار أحياء الكتب العربية، ط 1، 1954م.

7- البكري (أبوعبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز ت: 487هـ=1097م)، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوتن وأندري تيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.
8- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
9- البلادري (الإمام أبي الحسن أحمد بن يحيي بن جابر ت: 279هـ=892م)، فتوح البلدان، تصحيح: عبدالقادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
10- البلوي (خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم ت: 680هـ= 1281هـ)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المغرب.
11- البلوي (أبو محمد عبدالله بن محمد ت: حوالي 4هـ=10م)، سيرة ابن طولون، تحقيق: محمد كرو علي، دمشق، 1358م.
12- التجاني (أبومحمد عبدالله محمد أحمد ت: حوالي 717هـ=1317هـ)، رحلة التجاني، تقديم: حسن حسني عبدالوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.
13- الحشائشي (محمد بن عثمان التونسي ت: 1313هـ=1895م)، رحلة الحشائشي المسماة جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، تحقيق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، بيروت، ط 1، 1965م.
14- الحميري (محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم ت: خلال 9هـ=15م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة، بيروت، 1975م.
15- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي ت: 358هـ= 968م)، صورة الأرض، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1975م.
16- ابن خرذادبة (أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله ت: 300هـ=912م)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد.
17- ابن الخطيب (الوزير لسان الدين ابي عبدالله الغرناطي ت: 776هـ=1374م)، أعمال الأعلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب الوطنية، بيروت، ط 1، 2003م.
18- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي ت: 808هـ=1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، 1971م.

19- الدمشقي (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن ابراهيم أبي طالب الانصاري ت: 727هـ=1326م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، المثنى، بغداد.
20- ابن أبي دينار (أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم القيرواني ت: 1092هـ=1681م)، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط 1، تونس.
21- ابن رستة (أبوعلي أحمد بن عمر ت: كان حيا 4هـ=10م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، 1891م.
22- ابن رشيد السبتي (أبوعبدالله بن عمر الفهري ت: 721هـ=1321م)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق: محمد الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1988م، الجزء الخامس الخاص بالحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية.
23- ابن سعيد المغربي (أبوالحسن علي بن موسى ت: 673هـ=1274م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، ط 1، بيروت، 1970م.
24- يسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط، تطوان، 1958م.
25- ابن عبد الحكم (عبدالرحمن بن عبدالله ت: 257هـ=870م)، فتوح أفريقية والأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، لندن، 1930م.
26- العبدري (أبوعبدالله محمد بن محمد الحاحي ت: خلال 700 - 720هـ=1300 - 1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: محمد الفاسي، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م.
27- ابن عذاري (أبوالعباس أحمد بن محمد المراكشي ت: أواخر 7هـ=13م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط 1، 1980م.
28- العياشي (أبوسالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر ت: 1090هـ=1702م)، الرحلة العياشية المسماة ماء الموائد، فاس، 1316هـ.

29- أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل محمد ت: 732هـ=1330م)، تقويم البلدان، تحقيق: رينو ودي سلان والبان مال كوكين ديسلان، باريس، 1840م.
30- ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم الحنفي ت: 807هـ=1405م)، تاريخ ابن الفرات 672-682هـ، تحقيق: قسطنطين زريق، منشورات جامعة بيروت الأمريكية، المطبعة الأوروبية، بيروت، 1942م.
31- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيي ت: 749هـ=1349م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1985م.
32- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبدالقادر خريسات، وعصام مصطفى هزايمة، ويوسف محمد ياسين، منشورات زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001م، الجزء الرابع.
33- القزويني (زكريا محمد بن محمود ت: 682هـ=1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1969م.
34- القلقشندي (أبوالعباس أحمد بن علي ت: 821هـ=1418م)، صبح الأعشى، شرح وتعليق: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
35- ليون الأفريقي (الحسن بن محمد الوزان الفاسي ت: 956هـ=1548م)، وصف أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، مراجعة: علي عبدالواحد.
36- المراكشي (عبدالواحد بن علي التميمي ت: 647هـ=1254م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط 1، بيروت، 1998م.
37- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، إصدارات محمد توفيق عومصية، الكتاب الثالث، القاهرة، 1963م.
38- مجهول، (ت: خلال القرن السادس الهجري= الحادي عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول، دار الشئوون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م.

39- المقديسي (أبوعبدالله محمد بن أحمد البشاري ت: 380هـ=990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط 2، ليدن، 1909م.
40- المقريزي (الإمام تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر ت: 845هـ=1446م)، جني الأزهار من الروض المعطار، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، ط 1، القاهرة، 2006م.
41- المقري (أحمد بن محمد التلمساني ت: 1041هـ=1631م)، أزهار الرياض في أخبار عياض، منشورات صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات.
42- نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد يحيي عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
43- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ت: 733هـ=1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبدالعزيز الأهوائي، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1983م، الجزء 29.
44- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبوعبدالله الرومي ت: 626هـ=1228م)، معجم البلدان، دار بيروت ودار صادر، بيروت، 1979م.
45- اليعقوبي (أحمد بن يعقوب إسحاق بن جعفر ت: 284هـ=897م)، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب والسنة والجماعة، دار الكتب الوطنية، بيروت، 2002م.

ثالثًا: المراجع العربية.

1- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
2- سالم سالم الشلابي، عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ط 1، 1994م.
3- الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس، ط 1، 1968م.

4- علي الميلودي عمورة، طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني، طرابلس، 1993م.
5- فاتن محمد البنا، محافظة طرابلس دراسة في جغرافيا العمران، رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.
6- محمد يوسف نجم وإحسان عباس، ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
7- نجم الدين غالب الكيب، مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، ط 2، 1978م.
8- نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1961م.

رابعاً: الدوريات والمجلات والبحوث.

1- محمد علي عيسى، الآثار الباقية عن القرون الخالية كما وصفها الرحالة العبدري، مجلة تراث الشعب، تصدر عن مكتب التراث والفنون، طرابلس، 1990م، مسلسل رقم 25، ع4، مج 1.
2- محمد قزقزان، ليبيا في أدب الرحالة المغاربة القيس نموذجاً، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي المنعقد خلال الفترة من 20-23 ديسمبر 1995م، طرابلس.
3- مفتاح محمد عبدالجليل، وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2000م.